

الترجمة في ضوء رؤية العالم وثقافة النص

أ/د. عبد القادر سلامي*

ملخص:

تسعى الدراسة التالية إلى رصد تباذل المؤثرات الأدبية واللغوية إرسالاً واستقبالاً، من وإلى لغة العرب في ظلّ الخصوصية الثقافية والحضارية لكلّ أمة من الأمم، وذلك بالوقوف على نماذج من هذه النقول التي قد تتعدّر ترجمتها من وإلى لغة العرب على أكثر المترجمين مراساً، ناهيك عما قد يتعدّر منها خاصّة إذا قام عليها غير المختصّ من الأفراد أو الجامع، غير المضطّلح من لغة تكثّر فيها المقابلات الحيّة معجماً المغيبيّة تداولاً في اللغة الهدف، والعربية أهمّها في الوقت الراهن، مُستعرضين ذلك من حيث الواقع والأسباب، الأمر الذي لا يُلغي دور الترجمة من حيث المبدأ في شيء.

الكلمات المفتاحية: النص - الترجمة - الرؤية، العالم، الثقافة - الواقع - الأسباب.

-تقديم:

لئن ارتبطت الترجمة بمعانٍ لغوية أهمّها: سيرة فرد من الناس أو تاريخ حياته أو تفسير الكلام وشرحه أو التفسير لما عجم واستعرب^١؛ فإنّ المنظرين والكتاب المترجمين يتفقون على أنّها تعني من حيث الاصطلاح: «نقل كلام أو نصّ من لغة إلى أخرى». فابن المقفّع (ت ١٤٢هـ) عند ابن النديم (ت ٤٣٨هـ) أحد النقلة من الفارسي إلى العربي.^٢ «ويُعدّ عادل زعيتر أحد هم في العهد الحديث. وليس أيّ نقل لنصّ في لغة إلى نصّ في لغة أخرى هو الترجمة، إذ إنّ للنقل قواعد محدّدة لا بدّ من أن تُراعها، وإلاّ فقدنا الحقّ في تسمية النصّ المترجم ترجمة».^٣

هذا، وتطلّ رؤية العالم وثقافة النصّ هما المناخ الذي يُحدّد طبيعة العمل وأدواته، إذ تختلف الترجمات الإبداعية للصوص الخالدة مثل الإلياذة لهوميروس والكوميديا الإلهية لدانتي عن رابوية لتشارلز ديكنز دون الانتقاص طبعاً من قيمة هذا الأخير. والمترجم أثناء العمل يستخدم ذاكرته اللغوية ودوّقه الجمالي في قراءة النصّ قبل استحضار أدوات العمل، وهنا لا بدّ من التذكير بأنّ المترجم غير المتدوّق لجماليات النصّ بلغته الأصليّة غير قادر على نقلها إلى لغة أخرى مَهْمَا كَانَ هذا المترجم قديراً ومُتمكّناً من تقنيات الترجمة.

١- الترجمة ورؤية العالم:

هناك وجهة نظر في هذا الشأن قدّم لها عالم اللغة الألماني الشهير «إدوارد سابير» وطوّرها تلميذته «بنيامين لي ورف»، لذلك تمّت تسميتها بنظرية «سابير - ورف»، في حين فضّل بعضهم تسميتها بـ«نظرية الاتصال اللغوي»، ومفادها أنّ الترجمة بين لغتين مختلفتين أمرٌ مُستحيل. ولئن كانت لا ترقى إلى مستوى الإجماع، بالرغم من كونها على درجة كبيرة من الأهمية، إلّا أنّه يمكن التعبير عن تلك النظرية بطرق عدّة

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان-الجزائر.

١ ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١٩٢٨/٥، مادة (رجم) والفيروزآبادي: القاموس المحيط، ٨٤/٤، مادة (ترجم) وابن منظور: لسان العرب، ٢٢٩/١٢، مادة (رجم) وإبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ٨٣/١، مادة (ترجم).

٢ ابن النديم: الفهرست، ص ٥٢٣.

٣ أسعد مظفر الدين حكيم: علم الترجمة النظري، ص ٤٠.

وبدرجاتٍ مُتباينةٍ وإن كانت الصياغة الشائعة لها تقول: «يؤثر تركيب لغتنا بدرجةٍ كبيرةٍ على الطريقة التي نستوعبُ العالمَ بها»^٤.

لقد اشتغل «ورف» مفتشاً في تأمين الحرائق قبل اشتغاله بعلم اللغويات، فأمكنه وفق تحريات قام بها أن يكتشف حرص العمال في تعاملهم مع أنابيب الغاز الملأى، في مقابل تراجع ذلك الحرص عند التعامل مع الأنابيب الفارغة. وهو تصرفٌ غير سليم؛ لأنك إذا أشعلت ثقاباً في أنبوبٍ مملوءٍ فإن الغاز يشتعل على الفور، أما إذا أشعلت أنبوبةً فارغةً فإن الغاز المتبقي داخلها والمتبخر سينفجر بعنفٍ، لذا تمكن «ورف» من أن يستنتج وجود شيء ما يحوم حول معنى كلمة «فارغ» والتي حثت العمال على مثل هذه اللامبالاة أو هذا الفعل الطائش^٥.

إن مسألة تعذر الترجمة في الأساس تنطلق من فكرة أن لكل لغة نظرةً مختلفةً ورؤيةً خاصةً للعالم. هذه الرؤية التي تجعل رجل الإسكيمو يعبر بالفاظٍ وتعابيرٍ متنوعةٍ عن مختلف حالات الثلج أسمائه وتجعل من العربي يُنقش وصف الإبل وما يدب في الصحراء، هي التي تجعل من طبخ اللحم الحلو بالرفوف الذي يعدُّ أشهى الأطباق في منطقة المغرب العربي، محط ربةٍ وشك في المشرق الذي يعدُّ أكل اللحم اللين من المقبلات الشهية (الكبة التينة). وكذلك، فكلمة «خلزون» Escargot مرتبطة في ذهن الفرنسي بفكرة الاختصاص الزنيح للمطبخ الفرنسي، بينما هي تُثير قرف الألمانى واشفاقه^٦.

ولا غرو أن «أولت المدرسة الألمانية، ومن أقطابها رايس وفيرمر (١٩٩١م) أولويةً قصوى لركن الثقافة في الترجمة، إلى درجة أن سنيل - هورني (١٩٨٨م) أجزم أن الترجمة تقع بين ثقافتين لا لغتين»^٧. هذا، وتعد معرفة المترجم بالعالم الذي يُحيط به جزءاً من المعرفة الدلالية للنص المراد ترجمته؛ لذا وجب التمييز بين المعرفة الخاصة باللغة والمعرفة ذات الطبيعة الأكثر عمومية. وقد ناقش جاست وكارنتر (١٩٨١م) لماذا تُعد جملة «أكل مصطفى التفاح مع المقبلات» جملة مقبولة، في حين أن جملة «أكل مصطفى الآيس كريم مع المقبلات» ليست كذلك، وقد أجاب عن ذلك بأن المقبلات عادة لا تُؤكل مع الآيس كريم، ومثل هذه المعلومة ليست خاصة باللغة بل هي نتائج معرفة عامة بأنواع الطعام التي تُضاف إليها^٨.

لذا، فإن معرفة المترجم بالعالم تلعب دوراً مهماً في بناء هذه التفسيرات، وعادة ما تكون هذه المعرفة مدعمة بمعرفة محددة لمحتوى الأحداث وبنيتها؛ ذلك لأن النص منعكس لثقافة المجتمع بكافة شبكاته المعقدة عبر التاريخ والجغرافية والعلاقات بين الأفراد، أي أنه ذاكرة ملخصة للنظام المعرفي للمجتمع. فالنص أياً كان هو مجموعة من العلاقات اللغوية التي تُخدم فكرةً أو مجموعة أفكارٍ أو مفاهيم قابلة للتفسير والشرح والتأويل مما يمهّد لتطويع النص لقراءاتٍ جديدةٍ أو تأكيد قراءةٍ ما^٩.

والمترجم أثناء العمل يستخدم ذاكرته اللغوية وذوقه الجمالي في قراءة النص قبل استحضار أدوات العمل، وهنا لا بُد من التذكير بأن المترجم غير المتدق لجماليات النص بلغته الأصلية غير قادر على نقلها إلى لغة أخرى مهما كان هذا المترجم قديراً ومتمكناً من تقنيات الترجمة. فالمترجم لن يكون متمكناً من عمله إن لم

٤ ر.ل. تراسك: أساسيات اللغة، ص ٧٠.

٥ المرجع نفسه، ص ٧٠-٧١.

٦ ينظر: Wills, W., *The Science of Translation Problems and Methods*, Gunter, p. 40.

٧ محمد الديداوي: الترجمة والتواصل، ص ٨١.

٨ ينظر: كامهي، آلان وكات، هوغ: صعوبات القراءة: منظور لغوي تطوري، ص ١٤.

٩ ينظر: جوني عدي: إشكالية الترجمة وثقافة النص، ص ٢ وأحمد يوسف: بين الخطاب والنص، ١/٥٣ وعبد الفتاح

كليطو: الأدب والغربة: دراسات بنوية في الأدب العربي، ص ١٤.

يَكُنْ قادراً على تذوق جماليات النص بلغته الأصلية؛ لأنّ التذوق واحدٌ من أهمّ عناصر نجاح الترجمة بعد إتقان اللغتين.^{١٠} فالترجم يُصادفُ في أغلب الأحيان بعض المتاعب التي لا يُدرُكها إلّا من يُعانيها وعلى رأسها ظلال المعاني عند إيجاد اللفظ، ودقّة العبارة، واكتشاف ما خفي من فنّ صاحب النصّ الأصلي، ويُجهّد المترجم دوماً في نقل نصّ عبارة في غاية الرقّة والإحساس بالتذوق لِقَاء عبارة عربية أو غيرها، وبالمستوى الأدبي أو العلمي أو الفنيّ نفسه. ولتمثيل ذلك نسوق ترجمة عنوان قصّة الكاتب الفرنسي بلزاك:

Le coeur d'une femme est une labyrinthe

بعبارة: «قلْبُ المرأة تيه» التي لا تُخْرُجُ عَنْ مَعْنَى ولا تَبْتَعِدُ عَنْ قَصْد. فإذا كانت هذه الحال بالنسبة للنثر، فكيف يكون الأمر بالنسبة للشعر الذي تكاد تُشرفُ ترجمته الرقيقة الوافية على المُستحيل؟ في الجواب على هذا السؤال يُمكن أن نقول: لئن كان المترجم شاعراً متمكناً من اللغة التي ينقل منها، وما أقل أن يكون، فكلّ ما يُمكن أن يصبو إليه الناقل هو أن يحتفظ بالمعنى؛ أمّا الوزن أو الموسيقى أو جمال اللفظ فكلّ هذه غاية قد يُجيدُها المترجم أو قد يَنفُلُها بحالة وسطى أو قد يَفْشَلُ بها.^{١١}

٢- الترجمة وثقافة النص:

تُعَدُّ ثقافة النصّ واحدةً من أهمّ إشكاليات الترجمة، وهي المُقابل أو المُجاور الدلالي في اللغة المنقول إليها، مع العلم أنّ المُقابل أو المُجاور لو تطابقاً مع الأصل تبقى جماليّة العلاقة بين الدوال والمُدلولات في النصّ ناقصة لغياب عناصر أخرى مثل الوزن والقافية في العمل الشعري.

كما أنّ الحديث عن ثقافة النصّ يعني الحديث عن وظيفة العلامة أو الإشارة اللغوية «sign(e)» التي تكتسب طبيعتها ومشروعيتها من النسق اللغوي «السياق»^{١٢} في علاقاتها الجدلية بالعلامات الأخرى والتي

١٠ جوني عدي: إشكالية الترجمة وثقافة النص، ص ٤.

١١ سالم العيس: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، ص ١٠٦.

١٢ يدلّ السياق من حيث الاصطلاح على تنازع الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه. ويقصد به تجاور الكلمات في التلاصق الركني للجمل في الملفوظ، أي ما يسبقها وما يلحقها من مفردات. وعادة ما تعدّ العوامل الصوتية النحوية والصرفية في تركيب الكلام مظهراً سياقياً أو تركيبياً. كما يُقصد به ما يصاحب اللفظ ممّا يساعد على توضيح المعنى وقد يكون التوضيح بما يرُدُّ فيه اللفظ من الاستعمال، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام؛ وقد تكون العلاقة بين هذا الكلام وبين كلام آخر أو غير كلام مدعاً إلى استعمال اللفظ بالطريقة التي يستعمل بها في اللغة. وهو بذلك «جسمٌ حيٌّ أو مجموعة من المواقف والإمكانات المتفاعلة، وفيه تقاطعات مستمرة». ومن مظاهر ذلك مثلاً مجاورة الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة أو في كلمتين، فالتقاء صوتين في سياق واحد قد يؤدي إلى التصرف في أحدهما بالإبدال؛ إذ ليس كلّ حرف صالحاً لأن يجاوره حرف آخر. كما أنّ شكل المقطع ومخرج الحرف وصفاته والملحقات الصرفية وغير ذلك هي العوامل التي تحدّد ورود حرف بعينه في موقع بعينه أو عدم وروده. وهو ما أطلق عليه ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) الأداء والأسلوب، فأكد أنّه «عبارة عن الميُول الذي يَنسُجُ فيه التركيب أو القلب الذي يُفَرِّغُ فيه، و لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، أي النحو، ولا باعتبار إفادته كما المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض، وإنّما يرجع إلى صورة ذهنية للتركيب المنتظمة كليّة باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التركييب وأشخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والميُول ثم ينتقي التركييب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيزعمها رصّاً، كما يفعل البناؤون في القالب والنساج في الميُول حتّى يَنسُجَ القالب بمحصل التركييب الوافية بمقصود الكلام ووقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإنّ لكلّ فنّ من الكلام أساليب تختصّ فيه وتوجد فيه على أنحاء مختلفة». (ينظر على التوالي: إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ٤٦٥/١، مادة (ساق) وينظر: عدنان ذريل: اللغة والدلالة، ص ١٦٠ وتامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص ١٣-٤٤، ٣١٨، ١٧٦-٤٥)

تُشكّل في مجموعها وحدات النصّ ضمنَ وظيفتهِ التّواصليةِ وضمنَ العلاقةِ التاليةِ:

المُرسل - النصّ - المُتلقي

أيّ إنّ النصّ هو الإطارُ التّاقُلُ للعلامةِ اللّغويةِ مع اعتبار أنّ المُرسل هو في الوقتِ نفسه متلقٍ والعكسُ صحيحٌ.^{١٣}

وقد ساقَ الباحثُ عُدي جُوني للتّمثيل لذلك مقطعاً لقصيدةٍ للشّاعرِ الفِلِسْطِينِي محمود درويش بعنوان «أبياتُ غَزَلٍ»،^{١٤} وهو مقطعٌ على بساطتهِ يُعْطِي مثلاً تطبيقياً ناجحاً لما يُسمّى «بتقافةِ النصّ»:

أَتَبَقِّينَ فَوْقَ ذِرَاعِي حَمَامَهُ
تُغَمِّسُ مِنْقَارَهَا فِي فَمِي؟
وَكَفْكَ فَوْقَ جَبِينِي شَامَهُ
تُحَلِّدُ وَعْدَ الْهَوَى فِي دَمِي؟

وقد حاولَ في ترجمتهِ إلى الإنكليزيةِ أن يُبرِّزَ المعاييرَ الدّلاليةَ لكلمتي «حمامة»، و«شامة» التي تُعْطِي للمقطعِ مناحاً خاصاً، وإن كان لا يدّعي أنّه نجحَ تماماً، فقال:

Would you stay on my arm as a pigeon
To my mouth, is immersing her beak
Your palm on my forehead a mole
Eternalizing the promise of love in my blood.

لتحليل ثقافة النصّ في هذا المقطع، علينا أولاً أن نقرأ اللّعبةَ الدّلاليةَ لمحمود درويش في توظيف كلمتي «حمامة وشامة». فقد وجدَ الباحثُ عُدي جُوني أثناءَ عرضهِ النصّ على بعضِ من طُلّابِ الجامعةِ مِنَ الجُنُسَيْنِ «خمسَةُ طُلّابٍ وَبِتْ طالِبَاتٍ» لم يسبقْ لأَيِّ مِنْهُمُ أَنْ يَسْمَعَ حتّى باسمِ محمود درويش، كما أَسْمَعَهُمُ القصيدةَ مغنّاةً بصوتٍ وألحانٍ الفنّانِ المُبدِعِ البَحْرِينِي خالد الشّيخ. وقد تَوَزَّعَ الطُّلّابُ على جُنُسِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، أَسْثَرَالِيَّةٍ، وَيَابَانِيَّةٍ، وَأَمِيرِكِيَّةٍ، وَسِرِيلَانِيَّةٍ، وَمَالِيْزِيَّةٍ، حيثُ طَلَبَ مِنْ كُلِّ طَالِبٍ وَطَالِبَةٍ أَنْ يَكْتُبُوا انْطِبَاعَاتِهِمْ بَعْدَ قِرَاءَةِ التّرجمةِ وَقَبْلَ سَمَاعِهَا مُغَنّاةً وَمِنْ ثَمَّ بَعْدَ سَمَاعِ الأَغْنِيَةِ. وجاءتِ التّائِيْجُ على الشّكلِ التّالي: ^{١٥}

– استعْربَ الأَمِيرِكِيونَ استخدامَ الحَمَامِ في الصُّورةِ الّتي رَأَوْا فِيهَا تَضَمِيناً غَيْرَ مُباشِرٍ لِفِعْلٍ جُنُسِي «implication sexual» إلى جانبِ أنّ الحَمَامَ طائرٌ مُزَعِجٌ، في حينَ وَجَدَ الطُّلّابُ الأَسْثَرَالِيونَ العَلاقةَ بَيْنَ الحَمَامَةِ والشّامَةِ غَرِيبَةً نَوْعاً مَا.

– أمّا الطُّلّابُ اليَابَانِيونَ، فَقَدْ فَهَمُوا المَعْرَى مِنْ رَمَزِ الحَمَامَةِ كَوَها رمزاً للسلامِ حَالَهُمْ نَظَرًا مِنْ سِرِيلَانْكا وَمَالِيْزِيَا، في حينَ اسْتَطَاعَ طَالِبٌ أَسْثَرَالِي واحدٌ أَنْ يَرِطَ الحَمَامَ بِرَمَزِ السّلامِ، وَعِنْدَ سُؤَالِهِ لَهُ عَنِ السَّبَبِ اكْتَشَفَ أَنَّهُ يُحَضِّرُ لِدِرَاسَةِ المَاجستيرِ فِي شُؤُونِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ. في حينَ أَنَّ طَالِبَةً أَسْثَرَالِيَّةً أُخْرَى، وَهِيَ مُتَزَوِّجَةٌ وَأُمٌّ، رَأَتْ فِي صُورةِ الحَمَامَةِ رَمَازاً لِلأُمومةِ.

– أمّا بالنّسبةِ لَصُورةِ الشّامَةِ والخُلُودِ فَقَدْ اسْتَغْرَبَ الجَمِيعُ تَوَظُّيفَهَا فِي قَصِيدَةِ غَزَلِيَّةٍ عَلَى أَساسِ أَنَّ الشّامَةَ

ومحمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ١١٦ وتام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص ١٦٣ و ابن خلدون: المقدمة، ص ٥٦٩-٥٧١.

١٣ عدي جوني: إشكالية الترجمة وثقافة النص مجلة أفق الثقافية، عدد فبراير ٢٠٠٠م، ص ٤.

١٤ محمود درويش: ديوانه، ص ٢١٠-٢١٣.

١٥ عدي جوني: إشكالية الترجمة وثقافة النص مجلة أفق الثقافية، عدد فبراير ٢٠٠٠م، ص ٤.

جسّم غريب يَحْمِلُ في خَفَاياهُ اِحْتِمالاتِ التَّحَوُّلِ إلى سَرطَانٍ، في حين أشارَ طالبٌ واحدٌ، يدرسُ الطَّبَّ، إلى أنَّ الشَّاعرَ ربّما استخدَمَ الشَّامةَ دلالةً على تَأَصُّلِ الحالةِ الوِجدانيّةِ لدى الشَّاعرِ بما أنَّ الشَّامةَ لا يُمكنُ إزالتها إلّا بالاستِئْصالِ.

وبعدَ هذا أمكِنَ الباحثُ المُستَقْرئُ أنْ يَخْلُصَ إلى أنَّ استخدامَ مُفردَةٍ واحدةٍ أعطى النصَّ عدّةَ مفاهيمٍ دلاليّةٍ تَبَعاً لثقافة كلِّ متلقٍّ وَفَقَ بَيِّنَتِهِ المِهْنِيّةِ أو الدِّرَاسِيّةِ أو حتّى الاجتماعيّةِ ممّا يُؤكِّدُ أنَّ النصَّ يُستَحضرُ في وُجُودِهِ مناحاً تفسيريّاً خاصّاً يَسْتَتِيعُ مُستوياتٍ مُتعدّدةً لِلعِبَةِ الدلاليّةِ، معَ التَّذَكُّيرِ بأنَّ النصَّ الإنجليزِيّ لهذا المقطع يفتقرُ إلى جَماليّاتِ الأدواتِ الشعريّةِ وأنسِيَابِ القافيةِ والخصُوصيّةِ الغِنائيّةِ التي عادةً ما تتمتعُ بها نصوصُ محمود درويش. والأطْرَفُ من ذلك أنَّ انطِبَاعاتِ الطَّلَبَةِ اختَلَفَتْ تماماً بعدَ سَماعِ الأُغْنِيَةِ إذ أشارَ الجميعُ إلى نَبْرَةِ الحُزْنِ في المَقْطَعِ الملحَن. وهذا يدلُّ على تَغْيِيرِ المعْنى الدلاليِّ للنصِّ لدى جَمْعِهِ معَ وظيفَةِ تعبيرِيّةٍ أُخرى تُمثِّلُك أدواها الفَنِيّةِ الخاصّةِ.^{١٦}

وبناءً على ما تقدّم فإنَّ النصَّ المُترجمَ عادةً ما يصطدُّ بِإشكاليّةِ ثقافةِ النصِّ المُنتجِ عِبرَ علاقاتٍ لغويّةٍ تتحكَّمُ فيها آلياتٌ دلاليّةٌ تُخْتَلَفُ عَن تِلْكَ التي تَعوِّدها السامِعُ أو القارئُ، الذي قد يفْهَمُ النصَّ لكنّه ليسَ مِنَ المحتَمِّ أن يتذوّقَ معناه الجَماليّ. فلوعدنا إلى نصِّ مُحَمَّد دُرُويش وقارَناهُ بِطريقةٍ تحليليّةٍ معمّقةٍ لَوَجَدنا أنَّ النصَّ يتوزَّعُ على مَساحاتٍ دلاليّةٍ مُرتبطةٍ بالواقعِ الفِلَسْطِينِيّ الذي يَرى في الحَمَامِ رمزاً للسلامِ في صِراعِهِ اليَوْمِيّ لِإثباتِ وُجُودِهِ على أرضِهِ وُثْماً يَرى البَعْضُ في ذلك الرَّمْزِ، على التَّحو الذي وظَّفَهُ مُحَمَّد دُرُويش، دعوهُ للتَّعايشِ لو افْتَرَضنا أنَّ المُخاطَبَ هُنا هي فتاةٌ يَهُودِيّةٌ. أمّا بالنسبةِ للشَّامةِ فهي بالنسبةِ للقارئِ العَرَبِيّ واحدةٌ مِنْ مَعاييرِ الجَمالِ التي تُضفي على الخُبُوبَةِ حُسناً آخَرَ إلى جانبِ علاقتِها الغُضُوبِيّةِ المُباشِرَةِ بالجَسَدِ، رمزاً للعلاقةِ الحَمِيمَةِ.^{١٧}

٣- ترجمة النص الشعري في الميزان:

لئن ساد الاعتقادُ أَيْامَ جُورج مُونان بأنَّ التَّرجمةَ في الأدبِ الرِّوائيِّ والمعاصرِ بِشكلٍ عامٍّ أَقلُّ حِدَّةً مِنْها في الشَّعرِ،^{١٨} فإنَّ ما أَقرّه الكثيرُ مِنَ المُنظِّرِينَ والأدباءِ المُترجمِينَ مِنْ أمرٍ عَدَمِ قابليّةِ الشَّعرِ للتَّرجمةِ يَبْقَى اعتقاداً فيه كثيرٌ مِنَ الصَّحّةِ.^{١٩} فالعَقْبَةُ الكَأداءُ التي تقفُ أمامَ ترجمةِ أيِّ قصيدةٍ من لغةٍ إلى أُخرى تتمثَّلُ في أنَّ الصُّورَ الشعريّةَ قد يَكُونُ لها رَنيثٌ وإِحاءٌ مُختلفانِ مِنْ لغةٍ إلى أُخرى، فَمّا يُعدُّ عميقاً ومبتكراً في لغةٍ ما قد يَبْدُو سَخيفاً وسَطَحياً في لغةٍ أُخرى تَبَعاً لطَبِيعَةِ الأَجْواءِ اللَّسانيّةِ والثَّقافيّةِ والحَضاريّةِ التي تُلفُّ كلَّتا اللّغَتَيْنِ. وحينَ تَفْقَدُ القصيدةُ، مِنْ جِزاءِ التَّرجمةِ، مُوسيقاها ومَزاياها العُروضيّةِ والبلاغيّةِ فإنَّها تَفْقَدُ الكثيرَ، وقد تَحَوَّلَ إلى نَشْرِ مُحايدٍ غيرِ قادرٍ على التَّأثيرِ.^{٢٠}

١٦ المرجع نفسه، ص ٤.

١٧ المرجع نفسه، ص ٥.

١٨ جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص ١٠٥. والجدير بالذكر هنا أن الفضل يرجع إلى جورج مونان في إعادة طرح الموضوع مجدداً في كتابه «Les belles infidèles»، ١٩٥٥ (الجميلات الخائئات)، وقد تطرق فيه إلى الحجج التي ساقها Du Bellay (١٥٤٩) والتي من أهمها تعذر ترجمة أحد الأبعاد الأساسية للغة ألا وهو البعد الشعري. ينظر: Georges, M. *Les Belles Infidèles*, p.15.

١٩ خلّص جاكوبسون إلى أن الشعر لا يمكن ترجمة، وما يمكن عمله فقط هو نوع من الإبدال الخلاق. ينظر: Jacobson, R., *Essais de linguistique Générale*, p. 238.

٢٠ إنعام بيوض منور: الأساليب التقنية للترجمة، ص ٤٢.

وهو بُغْدُ أدركه الجاحظ في وقت مبكر. فقد بدا واضحاً في إنكار قابلية الشعر للترجمة، وله في ذلك حُجَجٌ مَثْبُوتَةٌ في كتاب الحيوان، منها قوله: «وفضيلة الشعر مقصورة على العرب، ومن تكلم بلسان العرب، والشعر لا يُسْتَطَاعُ أَنْ يُترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى، حَوْلَ تَقَطُّعِ نَظْمِهِ وبطل وزنه، وذَهَبَ حُسْنُهُ وسَقَطَ مَوْضِعُ التَّعْجُبِ، لا كالكلام المنشور.»^{٢١}

وإذا كان الجاحظ قد أقرَّ بأنَّ «الكلام المنشور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من المنشور الذي تحوّل من مؤرُون الشعر».^{٢٢} فيلَى أيّ مدى يصلح النصُّ النَّثْرِي للترجمة ؟

إننا لا نجانب الصواب إذا رأينا في الإجابة على هذا السؤال ما رآه جورج مونان من أنّه «بدلاً من القول بأنَّ كلَّ شيءٍ يُمكن تَرْجَمَتُهُ أو أنَّ كلَّ شيءٍ يتعدّد ترجمته، فإنّه يتعيّن علينا أن نبدأ بحصرٍ منهجي لكلِّ الوقائع غير القابلة للترجمة ووصفها في مُدَوْنَةٍ مُعَيَّنَةٍ»^{٢٣}

وهذا التصنيف المنهجي يُشكّل في الوقت نفسه تصنيفاً لصعوبات الترجمة، والإلمام بهذه الصعوبات يُشكّل إحدى الخطوات الأولى لحلّها والمتمثلة في البحث عن المنهج الأفضل أو الأسلوب الأمثل في الترجمة. والهدف الأول من وضع المناهج والأساليب هو تقنين عملية الترجمة بُغْيَةً تَضْيِيقِ هوامش الخطأ فيها والارتقاء بهذا الفرع من فروع المعرفة إلى مستوى الصرامة العملية. ومما الحالات التي أمكننا إحصاؤها عن تعلُّل الترجمة، وهي حالات خاصة جداً، لا تُشكّل من الناحية العملية عَقَبَاتٍ يصعبُ تجاوزها أو اتخاذها حُجَّةً دَامِغَةً لاستحالة الترجمة.^{٢٤}

ومهما كانت الأسباب وراء تعدُّل الترجمة على أيّام الجاحظ^{٢٥} أو بعده بقرون،^{٢٦} فإنَّ مُهِمَّةَ المُترجم الأدبي تتمثّل فقط في ثقل قصيدة أو رواية من لغة إلى أخرى ولا تتمثّل في التّعويض عنها أو الإتيان بأفضل منها. وعلى المُترجم أن يعي أنّه على الرُّغم من أنّه من المُستحيل أن تنقل من لغة إلى أخرى تلك الدقائق الحَقِيقَةُ للعبارة والصوت والنغمة التي تجعل من أيّ قصيدة وجوداً واقعياً مُنفرداً، فالشعر يُمكن ترجمته إذا كان المُترجم من الشعاعية ورهافة الحسّ بحيث يستطيع أن يُلجّ عوالم الشاعر الحميمة، وأن يكون مُتمكناً من اللغتين، مُتقناً لهما، وأن يستوعب مُعْجَمَ الشاعر الخاصّ ويُلِمَّ بإيحاءاته وينقلها بأمانة لا تُفوق عبقريّة الشاعر ولا تُخدّلها، الأمر الذي يُعزّز من دور الترجمة في تَقْرِيبِ الهُوَّةِ بَيْنَ الثَّقَافَاتِ الإنسانية والتي أسهم فيها رعيّل من المُترجمين الأَفْذَادِ أَمْثال: خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ) ويوحنا بن البطريق، وابن الناعمة الحِمْصِي، وثابت بن قُرَّة

٢١ الجاحظ: الحيوان، ٧٤/١-٧٥. ومنها قوله كذلك: «وقد ثقلت كتب الهند، وترجمت حكم اليونانية، وحولت آداب الفرس؛ وبعضها ازداد حسناً، وبعضها ما انتقص شيئاً، ولو حولت حكمه العرب، لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن؛ مع أنّهم لو حولوه لم يجدوا في معانيها شيئاً لم تذكره العجم في كتبهم، التي وضعت لمعاشهم وفطنتهم وحكمهم». ينظر: المصدر السابق، ٧٥/١.

٢٢ الجاحظ: الحيوان، ٧٥/١.

٢٣ جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص ٣٣.

٢٤ إنعام بيوض: الأساليب التقنية للترجمة، ص ٤٨.

٢٥ يرى بعض الدارسين المحدثين إلى أنّه كان لحركة الترجمة أثرها في ازدهار الحضارة العباسية، إلّا أنّ التراجم إجمالاً لم تخل من بعض الشوائب. فالإيهام في النصوص كان شائعاً والتفسير السيء مألوفاً. وقد يكون مرثداً هذا إلى التعابير التقنية في لغة الضاد، أو إلى الثقل عن غير الأصل، أو إلى جهل بعضهم اللغة المترجم منها واليها، أو كليهما معاً، علماً بأنَّ الترجمة في تلك الأيام كانت تتم غالباً من السريانية، والترجمة السريانية بدورها عن اليونانية. ينظر: جميل جبرا: لجاحظ في حياته وأدبه وفكره، ص ٩٦-٩٧.

٢٦ ينظر في هذا الصدد: Catford, J.C.: *Alinguistic Theory of Translation*, London, 1965, p. 94,99

وجوزيف ميشيل شريم: منهجية الترجمة التطبيقية، ١٩٨٢م، ص ١٠٧، ١٢٨.

(ت ٢٨٨هـ)، وحنّين بن إسحاق (ت ٢٦٠هـ)، وحبيب أو يشوع بن فهرز، وثُقَيْل بن ثُومًا (ثيوفيل)، وابن وهبلي، وابن صَيْدِي، وابن المُقَفَّع، وغيرهم^{٢٧} على أيّامنا كثير، نذكر منهم: ميخائيل نُعَيْمَة^{٢٨} وعادل زعير «شيخ المترجمين العرب» في عصرنا الحديث^{٢٩}.

خاتمة:

لئن لم تكن الترجمة منذ أن اتخذت جسراً للتواصل بين الثقافات المختلفة، مشروعاً تقوم عليه المؤسسات دون الأفراد، ولنا في «بيت الحكمة» قديماً و«المجلس الأعلى للثقافة» في مشروعيه القومي للترجمة بمصر حديثاً، فإن أمرها يجب أن يُسند في الحالتين إلى من يمتلك ناصية العلم ويسلك في أداها مسلك أصحاب الرسائل^{٣٠}.

المصادر والمراجع:

-العربية:

- أبو الفرج، محمد أحمد: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (ط ١)، ١٩٦٦
- أنيس إبراهيم ومنصور عبد الحليم والصوالحي عطية وأحمد محمد خلف الله: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، تحقيق درويش الجويدي: المقدمة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (ط ٢)، ١٩٩٦.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦.
- ابن النديم، محمد ابن إسحاق، تحقيق مصطفى الشوملي: الفهرست، الدار التونسية للنشر، تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥.
- بيوض، إنعام: الأساليب التقنية للترجمة: دراسة نقدية مقارنة لأساليب الترجمة من منظور الأسلوبية المقارنة لـ «فيني ودارليني، وتطبيقاتها على الترجمة الأدبية في ترجمات كتاب «النبى» لجبران خليل جبران»، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الترجمة في جامعة الجزائر، ١٩٩٢.
- تراسك، ر.ل، ترجمة رانيا إبراهيم يوسف: أساسيات اللغة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (ط ١)، ٢٠٠٢.
- تمام، حسان: منهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٩.

٢٧ ينظر على سبيل المثال: الجاحظ: الحيوان، ١/٧٦ وابن النديم: الفهرست، ص ٥٢٣ ومصطفى الشكعة: معالم الحضارة الإسلامية، ص ١٤٠-١٤٥.

٢٨ ويعدّ من الرواد الذين نبهوا في أوائل العشرينات إلى ضرورة الترجمة وخطورتها، وأحد الممارسين لها منها ترجمته لرواية «النبى» لصاحبها جبران خليل جبران (١٨٨٢-١٩٣١م) وقد صدرت عن مؤسسة نوفل، بيروت، سنة ١٩٣٦م. ينظر: حسني زينة: أثر الترجمة في تكوّن البلاغة العصرية، ص ٢١٢.

٢٩ ينظر: وديع فلسطين: عادل زعير مترجم ذو رسالة، ص ٣.

٣٠ ذهب محمد شرف سنة ١٩٢٩م في أمر الترجمة والمترجمين يقول: «وقد سار معربو هذا الزمان ومترجموه في نقل اللغات الفرنجية على طرق مختلفة، فابتدع هذا أسلوباً جرى عليه خالفه فيه غيره، واستقرّ آخرُ سنّةٍ لم يُسايَره عليها أحدٌ، وصار كلُّ معرّب يضع لنفسه منهجاً لتصوير الألفاظ والمعاني أو لتعريبها، وانطلقت الأقلام والألسنة بالأعنة، ووضعت أوضاعٌ وصيغٌ ألفاظٌ بطرق مختلفة لا تؤدّي المقصود منها، وشطّ المعرّبون عن الصواب شططاً بعيداً. وجاء فيما ظهر من الكتب العلمية المعرّبة التي تدرّس في مدارس الحكومة أو ما نُشر في الصحف اليومية والمجالات خلطٌ كبيرٌ». المرجع نفسه، ص ٢١٢.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام محمد بن هارون: الحيوان، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط ٣)، ١٩٦٩.
- جبرا، جميل: الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة.
- جوزيف، ميشيل شريم: منهجية الترجمة التطبيقية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، (ط ٣)، ١٩٨٤.
- جوني، عدي: «إشكالية الترجمة وثقافة النص»، مجلة أفق الثقافية الإلكترونية، عدد فبراير، ص. ١-٥، ٢٠٠٠، (تمّ الإطلاع عليها بتاريخ جوان ٢٠٠٦ على الموقع www.ofouq.com)
- حكيم، مظفر الدين أسعد: علم الترجمة النظري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٩
- خوري، شحادة: الترجمة قديماً وحديثاً، دار المعارف، سوسة، ١٩٨٨.
- الديداوي، محمد: الترجمة والتواصل: دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.
- درويش، محمود: ديوان محمود درويش، دار العودة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧.
- ذريل، عدنان: اللغة والدلالة: آراء ونظريات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١.
- زينة، حسني: «أثر الترجمة في تكوّن البلاغة العصرية»، مجلة الفكر العربي، العدد ٤٦، ص. ٢١١-٢٢١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٧.
- سالم، العيس: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩.
- سلوم، تامر: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، اللاذقية، (ط ١)، ١٩٨٣.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الجليل، بيروت.
- كامهي، آلان وكات، هوغ، ترجمة حمدان علي نصر وشفيق فلاح علاونة: صعوبات القراءة: منظور لغوي تطوري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، ١٩٩٨.
- كليطو، عبد الفتاح: الأدب والغربة: دراسات بنيوية في الأدب العرب، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢.
- مصطفى، الشكعة: معالم الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
- موان، جورج، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم ومراجعة أحمد فؤاد عفيفي: علم اللغة والترجمة، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.
- وديع، فلسطين: «عادل زعيتر مترجم ذو رسالة»، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٧٦، الجزء ١، ص. ٢٠-٣، دمشق، ٢٠٠١.
- يوسف، أحمد: بين الخطاب والنص، مجلة تحليلات الحدائث، العدد ١، ص ٥١-٥٨، جامعة وهران: معهد اللغة العربية وآدابها، ١٩٩٢.

- الأجنبية

- Barthes, R. 1973. *Théorie du texte*, in: *encyclopedia universalis*. Paris: Seuil, p. 1-11.
- Catford, J. C. 1965. *A linguistic Theory of Translation*. London, Oxford: Oxford University Press.

Jacobson, R. 1974. *Essais de linguistique Générale*. Paris: TL. les éditions de Minuit.

Mounin, G. 1955. *Les Belles Infidèles*. Paris :cahiers du sud.

Wills, W. 1982. *The Science of Translation Problems and Methods*. Tubingen: Gunter Narr Verlag.